الدبلوماسية الروحية والمشترك الإبراهيمي: دراسة في أبعاد الاختراق العقدي الناعم

قراءة في كتاب د. هبة جمال الدين

محمد بن عبد الله المقْدي

في ظل التحولات الجيوسياسية الكبرى، وما يصاحبها من إعادة تشكيل للوعي الديني والثقافي في العالم العربي، برز مفهوم جديد على ساحة العلاقات الدولية يُعرف بـــ **"الدبلوماسية الروحية** ."وقد تناولته الباحثة المصرية **د. هبة جمال الدين** بجهد علمي تحليلي ناقد، من خلال كتابها المعنون:

"الدبلوماسية الروحية والمشترك الإبراهيمي: المخطط الاستعماري للقرن الجديد"

(مركز دراسات الوحدة العربية – بيروت، ٢٠٢١م، ٢٣٨ صفحة)

الكتاب يمثل استكمالًا وتوسيعًا لورقة بحثية سابقة للباحثة نُشرت عام ٢٠١٩ بعنوان" :*الدبلوماسية الروحية: مسار جديد ومخاطر كامنة وسياسات بديلة لصانع القرار"* ، وقد أثارت أصداء واسعة في الأوساط الفكرية والأكاديمية.

جوهر الدراسة

ترتكز الدراسة على تحليل مفهوم "الدبلوماسية الروحية" بوصفه مساراً غير رسمي من العلاقات الدولية يعرف اصطلاحًا بـــ(Track II)، يجمع بين دبلوماسيين، وقادة دينيين، ومفكرين من مختلف الأديان، بحجة العمل المشترك من أجل السلام وحل النزاعات.

لكن الباحثة تذهب أبعد من هذا التعريف الإجرائي، لتكشف – من خلال قراءة نقدية وموثقة – أن هذه الدبلوماسية ليست مساراً بريئًا، بل هي **مشروع ناعم له أهداف عقدية وسياسية خطيرة**، يقوم على:

- تفريغ الإسلام من محتواه العقدي تحت شعار ''المشترك الإبراهيمي.''
- محو الخصوصيات الدينية للعقائد السماوية الثلاث، ودمجها في "ديانة رمزية كونية."
- دعم التطبيع مع الكيان الصهيوني روحيًا وثقافيًا، تمهيداً لتصفية القضية الفلسطينية.
- تحويل المرجعيات الدينية إلى أدوات سياسية تخدم مصالح القوى الكبرى.

المحاور التفصيلية للدراسة

يتناول الكتاب جملة من القضايا المرتبطة بهذا المشروع، نوجز أبرزها فيما يلي:

١. **بيت العائلة الإبراهيمية في أبو ظبي** :مشروع عمراني رمزي يجمع مسجدًا وكنيسة وكنيسًا في مساحة واحدة، ويُقدَّم كمظهر للتسامح، لكنه في جوهره – بحسب الدراسة – **مُحاولة مادية لإعادة تعريف القداسة**، وتحويل العقيدة إلى مجرّد تراث إنساني مشترك.

٢. **اتفاقات أبراهام وتوظيف الدين في خدمة التطبيع** :توضح الباحثة كيف أن الاتفاقات السياسية الأخيرة مع الاحتلال الإسرائيلي ليست منعزلة عن مشروع "السلام الروحي"، بل هي جزء من رؤية كلية تتكامل فيها السياسة بالعقيدة عبر أدوات ناعمة.

٣. **الماسونية والفرسان الجدد** :يتتبّع الكتاب الدور التاريخي لحركات مثل "الماسونية" و"فرسان المعبد" في الدعوة لوحدة الأديان، ويكشف تجدد هذا الدور في العصر الحديث من خلال مؤسسات غربية تروّج لـــ "الدين الإبراهيمي" بصيغة مائعة خالية من الغيب والولاء العقدي.

٤. **إعادة إنتاج الرمز الديني لأغراض الاختراق** :تمثل شخصية إبراهيم عليه السلام محورًا رمزيًا للمشروع، حيث يُعاد تقديمه كـــ"أبٍ جامع للديانات الثلاث"، ويُوظّف لتسويق خطاب وحدة الأديان، في تغييب متعمّد لحقيقة أن الإسلام جاء ناسخًا لما قبله.

٥. **التمكين الإسرائيلي عبر البوابة الدينية** :ترى الباحثة أن المشروع في جوهره يُمكّن الاحتلال الإسرائيلي من فرض هيمنته لا على الأرض فقط، بل على **مركزية الخطاب الديني العالمي،** في غياب مقاومة فكرية عربية متماسكة.

٦. **البدائل المقترحة** :تختم الباحثة بدعوة صريحة إلى بناء مسار دبلوماسي بديل، يستند إلى المرجعية الإسلامية العقدية، ويُعيد الاعتبار للخصوصيات الدينية والثقافية، ويُحصّن المجتمعات من الاختراق الناعم عبر الدين.

القيمة العلمية للدراسة

تمثل هذه الدراسة مرجعًا مهمًا لكل من:

- يدرس **العلاقات الدولية من زاوية ثقافية/دينية.**
- يهتم **بمخاطر العولمة الروحية** والمشاريع الناعمة.

- يعمل في **مجال الدعوة والفكر الإسلامي**، ويدرك أهمية كشف أساليب تذويب العقيدة.

كما أنها تكشف كيف تحوّلت مفاهيم التسامح والسلام إلى **منصات لاختراق الهويّة وتفكيك اليقين**، عبر أدوات رمزية مغلّفة بخطاب إنساني.

خلاصة:

ليست "الدبلوماسية الروحية" سوى الوجه الجديد للدبلوماسية الاستعمارية، لكن بوسائل ناعمة ولبوس ديني رمزي. والدراسة التي بين أيدينا تكشف – بجرأة علمية ووثائق دقيقة – أن هذا المشروع ليس من قبيل الترف الفكري، بل هو تحدٍّ حضاري يستوجب الوعي والمقاومة.